المسجد الأموي- جرش

إن أهم ما يميز فترة الحكم الأموي في منطقة جرش،وجوارها، النشاط الزراعي، واستثمار الأراضي الزراعية. وإقامة منشآت تعتمد على جمع مياه الأمطار بالبِرك. والآبار والصهاريج. وكانت كورة جرش وما يحيط بها من قرى في سوف. وغيرها مركزاً استثماريا زراعيا إضافة إلى الصناعة. وقد ذكرها الشعراء وأقاموا فيها وأشادوا بولاتها ومنهم الشاعر أبو الطيب المتنبي الذي مر بها قادما من طبريا إلى الأنبار[1].

ويبدو أن العهد الأموي كان الفترة الذهبية لكورة جرش وغيرها من كور الأردن فقد كانت جرش كورة مستقلة وكانت تمثّل المركز الإداري والحضاري والفكري في آن معاً وتشهد على ذلك البقايا الأثرية في المدينة وما تم العثور عليه[2].

(١) المرجع نفسه، ص ٨٣- ٨٤.

(٢) أبو الشعر، عمان عبر العصور، ص ١٦٣.

طريق تراجان الروماني/ طريق رحلة الشتاء والصيف إلى الشام

كما أن المواجهات العسكرية بين أنصار الأمويين من جهة وأنصار العباسين من جهة أخرى، جرت على أرض كور شرقي الأردن، ومن الطبيعي أن يؤدي هذا إلى تدمير الأسوار والحصون والمرافق، وإذا ما أضفنا آثار المواجهات العسكرية المدمرة إلى ما خلفه الزلزال سنة (٧٤٤م) على كورة جرش، فإننا سنخلص إلى نتيجة تؤكد مدى الخراب الذي لحق بجرش آنذاك، وعندما انهارت دولة بني أمية، انتقل الثقل السياسي من بلاد الشام إلى العراق، بعد بناء العاصمة بغداد، واتجهت الفعاليات السياسية والإدارية والاقتصادية إلى المشرق الإسلامي، فتراجعت نتيجة هذا الحدث الكبير مكانة بلاد الشام لتصبح مناطق ريفية معزولة[1]. وقد انعكس هذا الأمر على كور شرقي الأردن بعامة وجرش بشكل خاص، فلم تعد المصادر التاريخية تذكرها، إلا أن المنطقة احتفظت بدورها الجغرافي

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي (ت: ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (القاهرة:مكتبة مدبولي، ١٩٩١م)، ص١٧٩.

المعروف كممر لطريق القوافل والحج الشامي وأشارت المصادر أحيانـًا إليها في حالات محدودة[1].

إلا أن أخبار جرش لم تنقطع في العهد العباسي لترد إشارة إليها في بعض المصادر كقرية ريفية،لكنها بقيت على عمرانها؛وهي إشارة إلى وجود أسوارها وأبنيتها. وإلى أن المنطقة كانت معمورة آنذاك، وهو ما تؤكده كتب الجغرافيين والرحالة وخاصة في الفترة اللاحقة عندما تمكن الفاطميون من السيطرة على بلاد الشام، وقد وصفها المقدسي (ت ٩٢٢م) بأنها (ذات قرى، ومزارع وضياع ورستاقها جبل جرش ذات الأشجار والبساتين)[2] وكانت جرش في زمن الفاطميين قد ضُمت إداريا إلى أذرعات (درعا) حسبما أشار المقدسي[3] وفي أواخر الحكم الفاطمي في القرن الحادي عشر الميلادي، شهد بدايات الضغوط الخارجية بقدوم الصليبيين إلى المشرق، وضغوط المغول على المنطقة، وتسارعت الأحداث حيث أجهز صلاح الدين على دولة الفاطميين وأقام الدولة

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٢) الغرايبة، جرش في عيون الجغرافيين، ص ٨٧-٨٩.

(٣) أحمد الجوارنة، تاريخ الأردن في العصر المملوكي، (عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٩ م)، ص ٣٣-٣٤. يوسف غوانمة، التاريخ الحضاري للأردن في العصر المملوكي (عمان: منشورات وزارة الثقافة،٢٠١٥م)، ص ٢٩.

الأيوبية، وأصبحت جرش جزءاً من دولة الأيوبيين والتي انتهت بسيطرة الأيوبيين على بلاد الشام ومصر[١].

وقسم المماليك الذين حكموا بلاد الشام ومصر ما بين (١٢٥٨–١٥١٦م) بلاد الشام إلى ست نيابات ومنها نيابة عجلون وتتبعها البلقاء وتبعت جرش إداريا إلى عجلون، وقد عرفت جرش استقراراً واضحًا أيام المماليك وازدهرت أسواقها في مواسم الحج، لكننا لا نجد إشارات مباشرة لأسواق جرش. ويبدو من مراجعة المصادر التاريخية في الفترتين المملوكية والعثمانية أن جرش تراجعت، ولم تعد المصادر تشير إليها، مقابل ظهور وازدهار مواقع أخرى كعجلون وإربد وغيرهما[٢].

ومع أن المصادر التاريخية سكتت عن إيراد أخبار لجرش بسبب تحولها إلى منطقة ريفية هادئة، إلا أن هذا لا يعني أنها كانت بعيدة عن النشاط العلمي في الفترة الفاطمية، ثم الأيوبية، والمملوكية، فقد كان في جرش وجوارها العديد من الجوامع كجامع ريمون الأيوبي وغيره، وأشارت المصادر إلى العديد من الأعلام والعلماء من أهالي جرش وجوارها، ممن عملوا بالإفتاء والقضاء والتدريس في دمشق أو القدس، وهي ظاهرة تمثل العديد من أهالي جرش وجوارها ممن عرفوا بتفوقهم في العلم والفقة والقضاء وارتحلوا إلى الحواضر في بلا د الشام وعرفوا فيها بعلمهم وفضلهم[٣].

---

(١) حنا حداد، نعمان جبران، معجم المنسوبين إلى الديار الأردنية في المصادر التراثية سكنا أو مولدا، أو وفاة، (عمان: منشورات وزارة الثقافة،٢٠١٥م)، ص ٩٦، ١١٧– ١٢٧، ١٨٥،غوانمة، التاريخ الحضاري للأردن، ص ١٨٠.

(٢) ندوة الأردن في صدر الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ٢٤– ٢٦ آب ١٩٩٩م،(عمان – الأردن)، ص٢٩.

(٣) عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة (ت:٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)،المسالك والممالك،تقديم محمد مخزوم،(بيروت: دار إحياء التراث،١٩٨٨م)، ص٧٥.